المبحث الخامس
أعمال الملائكة:

للملائكة أعمال مكلفون بها، بعضها يتعلق بالإنسان بدءًا بمولده، وحتى آخر مراحل حياته الأخروية، وأخرى تتصل بالكون وما فيه من أحداث ووقائع.

أولاً: أعمال الملائكة المتعلقة ببني آدم:

للملائكة صلة بالإنسان قبل مولده وأثناء حياته الدنيا، وفي حياته البرزخية وفي الحياة الآخرة ولهم في كل من تلك المراحل أعمال يقومون بها، ومن تلك الأعمال ما يلي[1]:

1 ـ نفخ الأرواح في الأجنة:

وكتابة مستقبل تلك الأجنة من حيث أعمالها وآجالها وأرزاقها وسعادتها وشقاوتها، كل ذلك والأجنة في بطون أمهاتها[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ

---

(1) العقيدة الإسلامية، د. أحمد محمد جلي، ص: 173.

(2) المصدر نفسه، ص: 173.

وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: 5].

هذه هي أطوار الإنسان التي مر بها في حياته منذ خلق أبيه آدم من تراب إلى خلقه هو من ماء مهين، ومنذ أن نزل في رحم أمه نطفة إلى أن تطور فصار علقة ثم مضغة وهو في هذا كله ضعيف جداً لولا حفظ الله له لهلك مذ كان نطفة، ولكن الله ﷻ رحمه وحماه ووكل به ملكاً يحوطه ويرعاه وهو لا يقدر على شيء من أمر نفسه ولا يدري أحي هو أم ميت أذكر هو أم أنثى أشقي أم سعيد[1].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: **«إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربعة: برزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذارع أو باع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»**[2].

---

(1) في الملائكة المقربين، ص: 186.

(2) البخاري، ك القدر رقم 6594.

2 ـ مراقبتهم الإنسان وكتابة أعماله وإحصاؤه عليه:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: 80].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: 10 . 12].

وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات[1].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: 17 . 18].

إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: 21].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي

(1) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 336).
(2) معالم التنزيل للبغوي (4/ 222).

رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية: 29 . 30].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13-14].

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الكرام الكاتبين من الملائكة ملازمون للإنسان ليله ونهاره وأنهم يكتبون أقواله وأعماله القلبية والظاهرة كتابة حقيقية في كتب حقيقية[1].

والحكمة من كتابة الأعمال مع علم الله بكل ما يقع؛ إظهار عدل الله ﷻ وإقامة للحجة القاطعة لكل شبهة قد يعتذر بها العاصي يوم القيامة. وقد جاء في الحديث الصحيح عن سعد بن عبادة ﷺ قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة**»[2]، ولذلك يؤمر الإنسان بقراءة كتابه ومحاسبة نفسه يوم القيامة كما قال: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسرَاء: 14] .

قال الحسن البصري: يابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل

(1) في الملائكة المقربين، ص: 167.

(2) مسلم رقم 1499.

بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً. اقرأ كتابك فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك[1].

وفي حديث صاحب البطاقة المشهور قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً لكل سجل مد البصر ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله" فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمٰن الرحيم**»[2].

أ ـ ماذا تكتب الملائكة:

الذي دلت عليه النصوص أن الملائكة تكتب كل ما صدر عن الإنسان من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة كتابة تفصيلية لا إجمالية:

ـ قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: 52 ـ 53].

---

(1) تفسير ابن جرير (26/ 159) في الملائكة المقربين، ص: 168.

(2) سنن الترمذي، رقم 2641 حديث حسن غريب.

- وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: 49].

- وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: 120 . 121].

- وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: 7 - 8] .

وقال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسرع فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً»**، قالوا: لم يا أبا هريرة؟ قال: من أجل كثرة الخطا[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو مسلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم:

(1) مسلم رقم 656 (1/ 462).

«**بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: «**يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم**». فقالوا: ما يسرنا أنا كنا تحولنا[1].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة وهي تفيد أن الأعمال صغيرها وكبيرها تكتب في صحائف يلقاها ابن آدم يوم القيامة[2].

وعن بلال بن الحارث المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه**»[3].

وثبت أن أعمال القلوب تكتب كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: 10 - 12].

ولفظ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يشعر أن الله ﷻ قد أعطى الملائكة قدرة على العلم بما في قلب العبد. ورُوي عن الحسن رحمه الله أنه قال: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم[4].

وقال ابن أبي العز الحنفي: قد ثبت بالنصوص أن الملائكة تكتب القول والفعل وكذلك النية لأنها فعل القلب فدخلت في عموم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[5].

---

(1) مسلم (1/ 462) رقم 656.
(2) في الملائكة المقربين، ص: 174.
(3) صحيح الجامع (2/ 63) رقم 1615.
(4) تفسير القرطبي (19/ 248).
(5) شرح العقيدة الطحاوية، ص: 442.

وقد ورد في السنة ما يدل على علم الملائكة بفعل القلب بها وبهمه وإرادته، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله ﷻ: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً**»[1].

والخلاصة أن الكرام الكاتبين قد هيأهم الله وأعدهم لكتابة كل ما صدر عن الإنسان من قول وفعل ظاهر وباطن، ودلت النصوص كذلك على أن الملائكة تكتب للإنسان بعد وفاته الأعمال التي تسبب بها في حياته من خير وشر[2].

. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: 12].

وهذا يدل على أن الملائكة تكتب أعمال الإنسان الذي عملها في حياته والأعمال التي تسبب بها في حياته بعد موته سواء كانت من عمله أو من عمل غيره ما دام تسبب بها أو دعا إليها ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل أولاً**»[3].

---

(1) فتح الباري على صحيح البخاري (13/ 264).

(2) في الملائكة المقربين، ص: 175.

(3) البخاري رقم 6890، مسلم رقم 1677.

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: من علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده**»[2].

ب ـ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ونحوها:

قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[3].

وقد أجاب عن ذلك الخطابي بقوله: يريد الملائكة الذين ينزلون بالبركة والرحمة دون الملائكة الذين هم الحفظة فإنهم لا يفارقونه[4].

والمقصود: إن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتاً فيه

(1) مسلم (4/ 2059) رقم 1017.
(2) مسلم (3/ 1255) رقم 1631.
(3) البخاري (3/ 1179) رقم 2053.
(4) معالم السنن للخطابي (1/ 75).

شيء من ذلك دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه، ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستنكر بيننا فإن فساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء الناس منزله دخول إكرام ولا يمنعهم أن يدخلوه دخول إنكار[1].

والخلاصة: أن الملائكة الكتبة عليهم السلام ملازمون للإنسان يكتبون ما صدر عنه وقد أعدهم الله لذلك وأعطاهم من الوسائل والصفات ما يستطيعون به تنفيذ أمر الله لهم بدون أدنى عناء ومشقة[2].

3 ـ حفظ بني آدم:

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: 11].

أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدّامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة

(1) فتح الباري (10/ 380. 382)، في الملائكة المقربين، ص: 178.
(2) في الملائكة المقربين، ص: 179.

الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون[1].

وروى عن بعض أهل العلم: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه[2].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: 61].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان[3].

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: 4] أي: حافظ يحرسها من الآفات[4].

وقد بيّن النبي ﷺ بعض الأذكار التي تحفظ الملائكة من قالها في يومه ذاك أو في موضعه الذي قالها فيه فمن ذلك:

---

(1) صحيح تفسير ابن كثير (2/ 493)، البخاري رقم 555.
(2) صحيح تفسير ابن كثير (2/ 493).
(3) المصدر نفسه (2/ 27).
(4) المصدر نفسه (4/ 625).

أ ـ آية الكرسي: فقد صح عن النبي ﷺ أن من قرأها وكّل الله به ملك يحوطه كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. فقص الحديث. وفيه فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: **«أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ »** قال: لا، قال: **«ذاك شيطان»**[1].

ب ـ قراءة أواخر سورة البقرة:

عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**[2].

قال النووي: اختلف العلماء في معنى ﴿كفتاه﴾ فقيل: من الآفات في ليلته. وقيل: كفتاه من قيام ليلته، فقلت: أي النووي: ويجوز أن يراد الأمران[3].

ج ـ قراءة قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات:

عن عبد الله بن خبيب ﷺ قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال: **«قل »**، فلم أقل

(1) البخاري رقم 2187.
(2) فتح الباري على صحيح البخاري (9/ 55).
(3) الفتح (9/ 56).

شيئاً، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «**قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء**»[1].

د ـ قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له:

قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر منه**»[2].

4. ملازمته ودعوته للخير:

وممن هو ملازم للإنسان من الملائكة القرين، وهذا من أعظم نعم الله على الإنسان ولله الحمد والمنة فقد يسر الله لكل إنسان ملك يدعوه إلى الخير ويحثه عليه ويخوفه من الشر ويحذره.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق: 23].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**»، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»[3].

---

(1) صحيح الجامع (4/ 141) رقم 4282.

(2) البخاري (5/ 2351) رقم 6040.

(3) مسلم (4/ 2168) رقم 2814.

وقد وضح النبي ﷺ عمل هذين القرينين للإنسان وطريقة السلامة من الشيطان في حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا آوى الرجل إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، فإن ذكر الله ثم نام بات الملك يكلؤه، فإذا استيقظ قال الملك: افتح بخير، وقال الشيطان: افتح بشر، فإن قال الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا إلى آخر، الحمد الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة»**[1].

وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً ـ ما يوضح هذا الأمر وفيه: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البَقَرَة: 268][2].

يقول ابن القيم: وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب، فهذا يلم به مرة وهذا يلم به مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمته الانفساح والانشراح والنور، والرحمة، والإخلاص، والإنابة، ومحبة الله، وإيثاره على ما سواه، وقصر الأمل، والتجافي عن دار البلاء، والامتحان والغرور، فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه، ولكن تأتيه لمة

(1) مسند أبو يعلي الموصلي (3/ 326) رجاله رجال الصحيح عدا إبراهيم بن الحجاج السامي وهو ثقة.

(2) مسند أبو يعلي الموصلي (8/ 417) رقم 4999، في الملائكة المقربين، ص: 184، تفسير الطبري (5/ 572 ـ 575) تحقيق أحمد شاكر.

الشيطان فتحدث له من الضيق، والظلمة، والهم، والغم، والخوف، والسخط المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا وعاجلها، والغفلة عن الله...

ثم للناس مراتب في هذه المحنة لا يحصيها إلا الله، فمنهم من تكن لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر، وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى طرد تلك اللمة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها، فهو دائماً في حرب بين اللمتين، يدل له مرة، ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للتقوى[1].

وليس شيء أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته، وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سرّه، ويحارب عنه عدوه، ويدافع عنه، ويعينه عليه ويعده بالخير، ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق وإذ اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد، تكلم على لسانه قول الزور والفحش حتى يرى الرجل يتكلم على لسان الملك، والرجل يتكلم على لسان الشيطان[2].

وذكر ابن القيم أن العبد يصحب الملك ويدنيه منه إن هو اشتغل بالإيمان والعبادة للرحمٰن، ويطرده منه ويقسيه إن اشتغل بالذنوب والمعاصي وفي ذلك يقول: من عقوبة المعاصي أنها تباعد

(1) الإيمان بالملائكة الأطهار، للأشقر، من ابن القيم، ص: 59.
(2) المصدر نفسه، ص: 56.

عن العبد وليه، وأنصح الخلق له، وأنفعهم له، ومن سعادته في قربه منه، وهو الملك الموكل به، وتدني منه عدوه وأخشى الخلق، وأعظمهم ضرراً له، وهو الشيطان فإن العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتى أنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة.... فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة، فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو أكبر من ذلك وأفحش منه[1].

5 . السفارة بين الله وبين عباده من بني آدم:

من أهم الوظائف المنوطة بالملائكة هو قيامهم بتبليغ الوحي إلى أنبياء الله، ورسله، فالملائكة واسطة بين الله تعالى وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع، ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه، والرسول واسطة بين الملك وقومه، وما يؤديه الملك إلى الرسول ليؤديه الرسول إلى قومه ضربان: قرآن ووحي[2]، فقد اصطفى الله ﷻ من بني آدام أفراداً شرفهم بنبوته ورسالته وأرسل إليهم ملائكة منه يبلغونهم أوامر الله ﷻ دينه، وهؤلاء المصطفون هم الأنبياء والرسل . عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ

(1) الإيمان بالملائكة الأطهار، للأشقر، من ابن القيم، ص: 58.

(2) معارج القبول للحكمي (2 / 78)، الرسل والرسالات للأشقر، ص: 63.

عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 163-165].

وقد ذكر الله ﷻ المقامات التي يوحي بها إلى عباده فقال سبحانه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: 51 . 53].

قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي إلى جناب الله ﷻ وهو أنه تبارك وتعالى: تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى أنه من الله ﷻ أو من وراء حجاب كما كلم موسى. عليه الصلاة والسلام .: أو يرسل رسولاً كما ينزل جبريل، عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والذي يهمنا في هذا المبحث المقام الثالث، وهو الوحي بواسطة الملك[1].

فقد أثبتت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن جبريل عليه السلام هو الذي ينزل بالوحي من الله تعالى للأنبياء والرسل، فكان الوساطة بين الله تعالى ورسله[2].

* . الأدلة من الكتاب العزيز:

(1) في الملائكة المقربين، ص: 162 تفسير ابن كثير (4 / 122).
(2) الواسطة بين الله وخلقه، ص: 112.

أ ـ قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: 193 ـ 194].

ب ـ قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البَقَرَة: 97].

ج ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: 102].

د ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم، : 3 . 10]، وأخرج الشيخان عن ابن عباس ﷺ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه، فكان ذلك يعرف منه فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة، آية: 16 ـ 18] فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله[1].

هـ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: 19 ـ 23][2].

---

(1) البخاري، ك بدء الوحي (1 / 29).

(2) الواسطة بين الله وخلقه، ص: 124.

*** وقد كان نزول جبريل ﷺ على النبي ﷺ على أشكال:**

أ ـ فمن تلك الأشكال:

أنه كان يأتيه على صورة غير مرئية ويقع كلامه على قلب النبي، فيعي ما يقول ولا يرى الصحابة جبريل عليه السلام والحالة هذه، ولكن تظهر لهم علامات تدل على أن النبي ﷺ يوحي إليه ومن هذه العلامات:

ـ خروج العرق من جسمه الشريف ﷺ في اليوم البارد، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن كان لَينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً"[1].

ـ تغير وجهه الشريف ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب[2] لذلك وتربد[3] وجهه[4].

ـ ثقل جسمه الشريف ﷺ فعن أسماء بنت يزيد ﷺ قالت: إني لآخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذا أنزلت عليه المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة[5].

وروى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال:

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (15 / 86).
(2) كرب: أصابه الكرب من شدة الوحي.
(3) تربد وجخخ: تغير إلى الغبرة.
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (15 / 88).
(5) فتح الباري (1 / 21).

أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترضى[1]، فخذي[2].

ب ـ وقد يراه على صورته التي خلق عليها:

وقد ثبت أنه ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلق عليها مرتين، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة ﵂ قالت: إن النبي ﷺ لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى ومرة في جياد[3] له ستمائة جناح قد سد الأفق[4].

ج . وقد يتمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة رجل فيكلمه بالوحي ومن ذلك:

. تمثل جبريل ﵇ بصورة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي ﵁ وكان معروفاً بجماله، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر ﵄ قال: كان جبريل ﵇ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية[5].

. وقد يأتيه على صورة رجل غير معروف ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﵁ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا

---

(1) الرضى: الكسر، مختار الصحاح، ص: 245.

(2) البخاري، ك الصلاة (1 / 478) رقم 12.

(3) جياد: يقال له أجياد واد بمكة.

(4) فتح الباري (1 / 3).

(5) مسند أحمد (8/ 132) صححه محقق المسند.

أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وساق عمر الحديث إلى أن قال في آخره: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

وقد جمع النبي ﷺ بين الشكلين «أ» و «ج»[2].

في قوله: أحياناً يأتيني مثل صلصة[3] الجرس وهو أشده علي فيفصم[4] عني وقد وعيت ما قال: وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول[5].

. وأخبرنا القرآن الكريم، أن الله ﷻ أرسل بعض الملائكة المقربين، واسطة منه تعالى إلى أشخاص من البشر ليسوا بأنبياء، تشريفاً لهم وتكريماً، وأن أولئك الملائكة عليهم السلام جاءت وساطتهم بالبشارة والنذارة والابتلاء لهؤلاء الأشخاص ونريد أن نبين تلك الوساطات في النقاط الآتية:

أ ـ سارة زوجة إبراهيم عليه السلام:

لما ذكر الله تعالى قصة ملائكته الذين أرسلهم إلى إبراهيم عليه السلام ذكر في أثنائها أنهم خاطبوا زوجه سارة، وبشروها بولدها

---

(1) مسلم، ك: الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان.

(2) وهما مجيء جبريل في صورة غير مرئية ومعينة في صورة رجل.

(3) الصلصة: الصوت.

(4) فيفصم: الفصم: القطع، النهاية في غريب الحديث (3/ 452).

(5) فتح الباري (1/ 18) رقم 2.

إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وذلك في آيتين من كتاب الله العزيز.

. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 70-73].

. وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: 28 . 30].

فتبين من هاتين الآيتين أن الله تعالى أوحى إلى سارة بواسطة هؤلاء الملائكة الذين بشروها بأنها ستلد إسحاق رغم كبر سنها، وشيخوخة بعلها، وأن إسحاق سيولد له ولد يسمى يعقوب[1].

ب ـ مريم ابنة عمران عليها السلام:

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يولد عيسى ابن مريم عليه السلام من أم دون أب، ليكون ذلك دليلاً مشاهداً على عظم قدرة الله ﷻ، ولما كانت مريم هي الأم التي قدّر الله ولادتها لهذا النبي الوجيه أرسل

(1) الواسطة بين الله وخلقه، ص: 127.

إليها الملائكة مراراً، وقد بينت آيات القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع، فمن تلك الآيات:

. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: 42 . 43].

. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 45-47].

. وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 17 . 21].

فثبت من هذه الآيات أن الملائكة أوحت إلى مريم ثلاث مرات، واسطة بينها وبين الله تعالى، وفي بعض هذه المرات كانت الواسطة جمعاً من الملائكة بصيغة العموم، وفي المرة الثالثة في سورة مريم كان الواسطة هو جبريل عليه السلام، حيث تمثل لمريم على صورة رجل تام الخلقة وأخبرها أنه رسول من عند الله تعالى، ليهب لها غلاماً زكياً[1].

(1) الواسطة بين الله وخلقه، ص: 128.

ولا يفهم من وحي الله إلى كل من سارة ومريم، بواسطة الملائكة أنه توجد نبية من النساء، لأن النبوة لا تثبت لأحد من البشر إلا بدليل، ولا يوجد دليل على نبوة واحدة من النساء، بل القرآن قصر الرسالة على الرجال دون النساء.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الأنبيَاء: 7] وهذا قول جمهور أهل العلم وهو الراجح[1].

ج . الملك الذي أرسله الله إلى الرجل الذي زار أخاه في الله:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته[2] ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تُربُّها[3]، قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»**[4].

فثبت بهذا الحديث أن الله تعالى قد أرسل ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين هذا الرجل الصالح ليعلمه فضل الحب في الله تعالى، ومنزلة المتحابين فيه.

---

(1) شرح النووي لصحيح مسلم (15/ 198).
(2) المدرجة: الطريق.
(3) تربها: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.
(4) مسلم شرح النووي (16/ 124).

د . الملك الذي بعثه الله إلى الأبرص والأقرع والأعمى في بني إسرائيل لابتلائهم.

وقد مرّ الحديث معنا مفصلاً، فقد دل هذا الحديث على أن الله تعالى قد بعث ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين هؤلاء الثلاثة نفر من بني إسرائيل لابتلائهم، وامتحانهم، وأنه أتاهم على صورة رجل من البشر[1].

6 ـ تثبيت المؤمنين وقتالهم معهم:

كما حصل في عدد من الغزوات، فقد شاركوا في قتال المشركين في بدر، والأحزاب وقريظة وغيرها، وقد سجل القرآن الكريم بعض تلك المشاركات، ليبين لهم عظيم نعمته على عباده المؤمنين من نصرتهم وتأييده سبحانه وتعالى لهم[2]:

أ ـ في غزوة بدر:

ثبت في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة البدريين: أن الله تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرُعب، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ

(1) الواسطة بين الله وخلقه، ص: 130.

(2) العقيدة الإسلامية، د. أحمد جلي، ص: 174.

ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: 123-126].

وقد أشارت الأحاديث الصحيحة إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين، وقتلهم[1]، وعن ابن عباس ﷺ، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم[2]، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو خُطِم أنفه، وشق وجهه كضربة السَّوط، فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدَّث بذلك رسول الله، فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**»[3]، ومن حديث عبد الله بن عباس ﷺ. أيضاً. قال: إن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب**»[4]، ومن حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال يالعباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجْلحُ[5]، من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق[6]، وما أراه

(1) السيرة النبوية للصلابي (1/ 711).
(2) المصدر نفسه (1/ 712) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.
(3) السيرة النبوية للصلّابيّ (1/ 712).
(4) البخاري رقم 3995.
(5) أجلح: الذي انحسر شعره من جانبيه.
(6) الأبلق: الذي ارتفع التحجيل إلى فخذيه.

في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: «**اسكت فقد أيدك الله بملك كريم**»[1]، ومن حديث أبي داود المازني قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري[2].

وقد بوب البخاري باب شهود الملائكة بدراً، وساق بسنده حديث رفاعة بن رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «**من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها**»، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة[3].

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت، لا شك فيه، وإن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل نزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين، من تبشيرهم بالنصر، من تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم، من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهروه لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية[4].

وقد يسأل سائل: ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة،

(1) مسند أحمد (1 / 117).
(2) مسند أحمد (5 / 450) سيرة ابن هشام (2 / 286).
(3) البخاري فتح الباري (7 / 311.312).
(4) المستفاد من قصص القرآن، د. عبد الكريم زيدان (2 / 131.132).

مع أن واحداً من الملائكة ـ جبريل عليه السلام ـ قادر بتوفيق الله على إبادة الكفار؟

وقد أجاب الدكتور عبد الكريم زيدان على ذلك، فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقاً لسنن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأييد من الله تعالى بأشكال وأنواع متعددة في التأييد والعون، ولكن تبقى المدافعة، والتدافع يجريان وفقاً لسنن الله فيهما، وفي نتيجة التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القوة اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في القتال ومباشرة لأعمال القتال وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه وثقتهم عليه، وهذه معانٍ جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر مع الأسباب الأخرى المادية مثل العدة والعدد، والاستعداد للحرب، وتعلم فنونها....الخ.

ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل، وقتال المبطلين، ويهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبتأييدهم ـ إن شاء الله تعالى ـ ينال المبطلون ما يستحقون من العقاب[1].

(1) المستفاد من قصص القرآن (2 / 131 ـ 132).

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: 14 . 15].

إن نزول الملائكة . عليهم السلام . من السماوات العلا إلى الأرض، لنصر المؤمنين حدث عظيم، إنه قوة عظمى وثبات راسخ للمؤمنين، حينما يؤمنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه، فإنهم أهلٌ لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء، وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، لبعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً، القوي إعداداً، وجيش المؤمنين القليل عدداً، الضعيف إعداداً وهو في الوقت نفسه عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار، وزعزعة يقينهم وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة، الذين شاهدهم بعض الكفار عياناً، إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم، فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير منظورة، لا يعلمون عددها، ولا يقدرون مدى قوتها، وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي، وفي عهد الخلافة الراشدة، كما رافق المؤمنين بعد ذلك، فكان عاملاً قوياً في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم[1].

ب ـ الملائكة في أحد:

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ

(1) التاريخ الإسلامي (4 / 145) للحميدي.

وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما . قبل ولا بعد . يعني . جبريل وميكائيل[1].

وهذا خاص بالدفاع عن النبي ﷺ لأن الله تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح: أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال. وإن وعدهم الله أن يمدهم . لأنه جعل وعده معلقاً على ثلاث أمور: الصبر، التقوى، وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد[2].

قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 124-125][3].

ج . في الخندق:

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللّهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللّهم اهزمهم وزلزلهم، اللّهم منزل الكتاب سريع الحساب**»[4]، فاستجاب الله . سبحانه . دعاء نبيه ﷺ، فأقبلت بشائر الفرج، فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم،

---

(1) البخاري رقم 4054.

(2) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري (2 / 391).

(3) السيرة النبوية للصلابي (2 / 149).

(4) البخاري رقم 2933.

وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة وألقى الرعب في قلوبهم وأنزل جنوداً من عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب: 9].

فكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منها، ولم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها، وبعث الله عليهم الملائكة فخلقت الأوتداد، وقطعت أطناب الفساطيط[1]، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء تقول: يا بني فلان، هلم إلي، فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء لما بعث الله عليهم الرعب[2].

وبعد انتصار المسلمين وعودة النبي ﷺ من الخندق ووضعه السلاح أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقتال بني قريظة، فأمر الحبيب ﷺ أصحابه بالتوجه إليهم، وقد أعلمهم بأن الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصونهم، ويقذف في قلوبهم الرعب، وأوصاهم بأن: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع

(1) الفساطيط: نوع من الأبنية في السفر دون السرادق.
(2) تفسير القرطبي (14 / 144).
(3) البخاري رقم 4119، مسلم 1770.

السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام وقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: «**فإلى أين؟**» قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ[1].

وقد سجل القرآن الكريم غزوتي الأحزاب، وبني قريظة، والقرآن كعهدنا به يسجل الخالدات التي تسع الزمان والمكان، فالمسلمون معرضون دائماً لأن يغزو في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم، ومعرضون بأن يتكالب عليهم الأعداء جميعاً، فإذا كان القرآن قد سجل حادثتي الأحزاب، وبني قريظة، فذلك من سمة التكرار على مدى العصور[2]، لكي يستفيد المسلمون من الدروس والعبر من الحوادث السابقة التي ذكرت في القرآن الكريم على وجه الخصوص، والذي يتدبر حديث القرآن عن غزوة الأحزاب يراه قد اهتم ببيان أمور من أهمها ما يلي:

- تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: 9].

- التصوير البديع لما أصاب المسلمين من هم بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة، قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 10].

---

(1) البخاري مع الفتح (7 / 407).

(2) الأساس في السنة، سعيد حوى (2 / 662).

- الكشف عن نوايا المنافقين السيئة، وأخلاقهم الذميمة وجبنهم الخالع، ومعاذيرهم الباطلة، ونقضهم للعهود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: 12].

- حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وجهاده، وكل أحواله، استجابة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21].

- مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة، وهم يواجهون جيوش الأحزاب بإيمان أدق ووفاء بعهد الله تعالى، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: 23].

- بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وهي جعل العاقبة للمؤمنين لأعدائهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: 25].

- امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين، حيث نصرهم على بني قريظة وهم في حصونهم المنيعة بدون قتال يذكر، حيث ألقى سبحانه - الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكم الله ورسوله ﷺ[1]. قال

(1) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ، د. محمد بدر آل عابد (2 / 490. 491).

تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: 26-27].

د. الملائكة في غزوة حنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: 25 . 27].

إن غزوة حنين سُجِّلت في القرآن الكريم، لكي تبقى درساً للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عُرضت في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي:

- بيّن القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ثم بيّن القرآن أن هذه الكثرة لا تفيد ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾.

- بيّن القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا، وهربوا ما عدا النبي ﷺ ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

- بيّن القرآن الكريم أن الله نصر رسوله ﷺ في هذه المعركة،

وأكرمه بإنزال السَّكينة عليه وعلى المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

- بيّن القرآن الكريم أن الله أمدّ نبيّه محمداً ﷺ بالملائكة في حنين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 26] وأكّد - سبحانه - على أنه يقبل التوبة من عباده، ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[1].

7 - قبض الأرواح عند الموت:

ثبت في الكتاب والسنة أن الله وكّل بالروح ملائكة يقبضونها عند الموت في آيات كثيرة.

أ - كيفية نزع الروح:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 83 . 85].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: الروح، والحلقوم: هو الحلق، وذلك حين الاحتضار ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم[2].

(1) حديث القرآن الكريم (2/ 602. 603).

(2) اليوم الآخر، د. محسن المطيري، ص: 55.

. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: 61 . 62].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: 26 ـ 30].

﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ أي: الروح، والتراقي جمع تُرقُوة وهي العظام المكتنفة لنُقرة النّحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة، ويكنّى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، مثله قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ وقيل: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾ معناه أي: حقاً أن المساق إلى الله ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: إذا ارتفعت الروح إلى التراقي، والمقصود تذكيرهم شِدة الحال عند نزول الموت[1].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السَّجدَة: 11] ، وقد توهم بعض الناس أن الملك الموكل بالموت وقبض الأرواح هو عزرائيل، والحقيقة أن لملك الموت أعوان على هذه المهمة فهناك النازعات والناشطات، الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: 1 . 2]. وقد ورد عن جمع من

(1) الإيمان باليوم الآخر، علي الصلابي، ص: 25.

الصحابة والتابعين أن ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾ الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط[1]، فيقبضون أرواح المؤمنين بيسر وسهولة ويبشرونهم بالجنة، بينما يقومون بضرب وجوه الكفرة وأدبارهم، كما يوبخون الظالمين لأنفسهم الممتنعين عن الهجرة إلى الله ورسوله[2].

إن الإنسان إذا اقترب أجله، فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر، حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين. حتى للمؤمن. بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح، وهذا النزع يختلف شدة ويُسراً بحسب إيمان الرجل[3].

ب ـ خروج روح المؤمن واحتضاره:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: 62 . 64].

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ قولين:

---

(1) العقيدة الإسلامية، أحمد جلي، ص: 175.

(2) المصدر نفسه، ص: 175.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، للمطيري، ص: 58.

الأول الرؤيا الصالحة: يراها المسلم أو تُرى له[1].

والثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ويدلّ على هذا حديث البراء ﷺ عن رسول الله ﷺ: **«إن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه الملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان وربٍّ غير غضبان، فتخرج تسيلُ كما تسيل القطرة من السقاء»**[2].

وكلا المعنيين صحيح، ولا تعارض بين هذين التفسيرين[3].

. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: 30 . 31]، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي أخلصوا لله، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي: على طريقة رسول الله باتباعه[4].

وفي قوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يبشرون عند الموت وفي القبر، ويوم خروجهم من قبورهم[5].

. وقال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(1) سنن ابن ماجه رقم 3898 وسنده صحيح.
(2) مسند أحمد رقم 18534 صحيح الإسناد.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، للمطيري، ص: 59.
(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 98).
(5) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 61.

هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبيَاء: 103] ، وقوله ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإنا نخلفنكم فيه ﴿ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير[1].

. وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 31-32].

يخبر الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلّم عليهم وتبشرهم بالجنة[2]، وأن وفاتهم تكون طيبة سهلة ولا صعوبة فيها ولا ألم، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخلّط[3].

. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: 27 . 28].

وهذا يقال له عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك هاهنا[4].

---

(1) تفسير البغوي (7/ 173) بتصرف.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 62.
(3) تفسير القرطبي (10/ 67).
(4) تفسير ابن كثير (4/ 510).

. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة: 88 . 91].

هذه الأحوال الثلاثة: هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم من فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرّمات والمكروهات وبعض المباحات، قوله ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ﴿فَرَوْحٌ﴾ راحة، أو الراحة من الدنيا، والروح: الفرح ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جنة ورخاء ﴿فَرَوْحٌ﴾ فرحمة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرّباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن[1].

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك، وتقول لأحدهم: سلام لك،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 64.
(2) تفسير ابن كثير (4/ 300).

أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين[1].

ويكون السلام على المؤمنين عند ثلاثة مواضع: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الدنيا، وعند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير، وعند بعثه في القيامة تسلّمُ عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة، ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام[2].

ج . خروج روح الكافر واحتضاره:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]

قوله ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كرباته وسكراته، وقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة وفي قبض الأرواح[3].

وقوله ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب لهم، حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل ، والجحيم والحميم، وغضب القهار العظيم، فتفرق روحه في جسده وتتعصى، وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم :﴿أَخْرِجُوٓا۟

(1) محاسن التأويل للقاسمي (7/ 22).
(2) تفسير القرطبي (17/ 151).
(3) التسهيل، لابن الجوزي (1/ 279).

أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: كنتم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله[1]، ثم يبشرون بالعذاب ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾.

. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفُرقان: 22] ، أي حرام ومحرّم عليكم دخول الجنة[2].

وفي حديث البراء الطويل، قال رسول الله ﷺ: «**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيءُ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول**»[3].

. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوًى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: 28 . 29].

. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

---

(1) التسهيل، لابن الجوزي (1 / 279).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 601.

(3) مسند أحمد رقم 18013 صحيح الإسناد.

﴿وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: 27] ، هذه فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزع[1].

د . ملائكة الرحمة وملائكة العذاب:

وقد جاء أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون في من لم تتضح حاله من بني آدم كل يقول أنا أقبض روحه حتى يفصل الله بينهما، كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟**

انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه على الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة، وفي رواية: فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي»[2].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 70.

(2) مسلم (4/ 49) رقم 2766.

والقصد أن ملائكة الموت نوعان: ملائكة رحمة وملائكة عذاب ينزلون لقبض أرواح بني آدم كل حسب عمله، فأهل الإيمان تقبض أرواحهم ملائكة الرحمة وأهل الكفر تقبض أرواحهم ملائكة العذاب[1].

8. سؤالهم الميت في قبره، ثم تنعيمه أو تعذيبه، بعد إعادة الروح إلى الجسد:

البرزخ: اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه، وهو بين الدنيا والآخرة[2]، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99 . 100].

ومن الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر:

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

ففي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ فالآية تبين حال المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي دليل واضح على عذاب القبر، ولو تأخر عنهم

(1) في الملائكة المقربين، ص: 192.
(2) تفسير القرطبي (12 / 150).

العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: 101].

قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[2].

- وقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 45-46].

وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[3].

ولقد جاءت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين، ومما يُستدل به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ

(1) الروح، لابن القيم، ص: 132.
(2) تفسير الطبري.(14 / 441)
(3) اليوم الآخر، للصلابي، ص: 48.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: 27][1].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه يسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قبر الميت، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر، وللآخر النكير، ويقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبده ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري، فيقولان:**

(1) البخاري رقم 4699، مسلم رقم 2871.
(2) البخاري رقم 1374، مسلم رقم 2870.

قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتأم عليه، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه»[1].

9 . نفخهم في الصور:

عرَّف النبي ﷺ الصور . كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: ما الصور؟ قال: «الصور قرن ينفخ فيه»[2]، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النَّمل: 87]، وقد سماه الله تعالى أيضاً الناقور، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [المدَّثر: 8]، الناقور هو الصور[3]، فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد.

وقد سمى الله تعالى الصوت الذي يخرجه إسرافيل من الصور بأسماء هي:

- النفخة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحَاقَّة: 13].

- الراجفة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: 6 . 7].

- الزجرة: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الصَّافات: 19] .

---

(1) سنن الترمذي رقم 1071، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 1391.

(2) أبو داود رقم 4742.

(3) فتح الباري (11 / 376).

والمشهور أن النافخ هو إسرافيل[1].

واختلف العلماء في عدد النفخات على أقوال:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات، وذلك أن الله نصَّ على هذه الثلاثة في كتابه:

نفخة الفزع: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: 87].

- نفخة الصعق: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: 68].

- نفخت البعث: قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: 68].

وقالوا: إن الفزع مغاير للصعق، واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاث[2].

القول الثاني: أنهما نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وقال هذا هو ظاهر النصوص، كقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ

(1) في الملائكة المقربين، ص: 156.

(2) حديث الصور، أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: 325 وهو ضعيف.

﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: 49 . 52].

وقوله ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ هذه هي النفخة الأولى، وقوله ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ هذه هي النفخة الثانية، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ هما النفختان الأولى والثانية.

ويمكن الجمع بين الفزع والصعق، وجعلها نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها ونهايتها، أي أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ، فينفخ نفخة إفزاع يطوّلها ويمدها لا يفتر (وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع) فيما الناس في العذاب يشاهدون أحداث الزلزلة إلى أن يأمر الله بنفخة الصعق الأشد قوة وهولاً، فيموت لشدتها كلُّ من في السماوات والأرض إلا من شاء الله[1].

وقد ذكر النبي ﷺ صاحب الصور بدون أن يسميه، وأنه التقم الصور بانتظار أن يؤمر في حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟**» قالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وعلى الله توكلنا**»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما**

(1) اليوم الآخر، للصلابي، ص: 88.

(2) سنن الترمذي رقم 2548، السلسلة الصحيحة (3/ 67).

طرف[1] صاحب الصور مذ وكّل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريّان»[2].

10 . قيامهم برعاية أهل الجنة ونعيمهم:

وكّل الله ﷻ بالجنة ملائكة يعمرونها ويغرسونها ويعملون أنهارها ويعدون لأهلها ما أمرهم الله به وهؤلاء هم خزنتها والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه[3]، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هؤلاء الخزنة في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: 73].

فهم يتلقون المؤمنين بالتحية الأولى التي حيوا بها أباهم آدم عليه السلام، وهي السلام، وهؤلاء الخزنة يدخلون على المؤمنين الجنة ويسلمون عليهم كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 23 . 24].

وأول من يفتح له الخزنة باب الجنة نبينا محمد ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة منها حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن:**

---

(1) الطرف: إطباق الجفن على الجفن.

(2) الفتح (11/ 368)، السلسلة الصحيحة (3/ 65).

(3) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، ص: 87.

من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»[1].

قال ابن كثير: وتدخل الملائكة عليهم من هاهنا ومن هاهنا بالتهنئة بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصادقين والأنبياء والرسل الكرام[2].

11 ـ خزنة النار:

قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: 26 ـ 30].

فهؤلاء التسعة عشر هم خزنة جهنم العظام ومعهم من الملائكة خلق لا يحصيهم إلا الله ولذلك عقب بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].

وأعظم هؤلاء الخزنة مالك عليه السلام، وقد تقدم، وقد وصف الله ﷻ هؤلاء الملائكة بصفات عظيمة تملأ النفوس خوفاً ومهابة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: 6][3].

---

(1) مسلم (1/ 188 ـ 97) ك الإيمان.

(2) تفسير ابن كثير (2/ 510).

(3) في الملائكة المقربين، ص: 151.

أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة، شداد أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج[1].

كما أن خزنة النار تتلقى الكافرين وتبشرهم بالنار وتلومهم على عدم طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 71-72].

وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: 8 . 9].

وأهل النار والعياذ بالله ينادون الخزنة أن يشفعوا لهم عند الله لتخفيف ما هم فيه من العذاب، فيجيبونهم بلومهم على ما فرطوا في الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: 49 . 50].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: 77 . 78].

(1) في الملائكة المقربين، ص: 151، تفسير ابن كثير (4/ 391).

وهؤلاء الملائكة بهم من القوة والعظمة ما يجعلهم يدخلون النار ويخرجون منها ويعذبون أهلها وهم سالمون من هذا العذاب العظيم، بل ثبت أنهم يجرونها يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**[1].

ثانياً: أعمال الملائكة المتعلقة بالكون:

إن أعمال الملائكة ووظائفهم لا تقتصر على تلك الأعمال المتعلقة بالإنسان بل إنهم يقومون بأعمال كثيرة تتصل بالكون وما فيه من أشياء وأحداث، فمنهم من يحمل عرش الرحمٰن، ومنهم الموكل بسوق السحاب إلى حيث يشاء الله، ومنهم الموكل بالجبال، إلى غير ذلك من الأعمال التي يقومون بها تنفيذاً لأقدار الله تعالى في الخلق، يقول ابن القيم: فكل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: 5]، وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الذاريات: 4]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم[2].

---

(1) في الملائكة المقربين، ص: 152.

(2) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ص: 125.

ولا يعني هذا أن للملائكة فعلاً مستقلاً عن الله تعالى، بل إن الفعل فعل الله والخلق خلقه، وليست الملائكة شركاء لله في فعله، وما يقومون به إنما هو بعلم الله تعالى، وإرادته ﷻ وقدرته، فالقرآن يخبرنا بأن الملائكة يتوفون الناس، ولكن الله ﷻ منه الإحياء والإماتة والفعل كله، ووفقاً لهذا فينبغي أن نعلم ونؤمن: أن الملائكة لا تملك للإنسان نفعاً ولا ضراً، ومن ثم لا يجوز للإنسان أن يطلب منها ذلك أو يدعوها لجلب نفع أو دفع ضر، بل الدعاء والتوجه والطلب لا يكون إلا لله وحده وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الملائكة لا شفاعة لها إلا بإذن الله ورضاه. إذ أن الخلق كله والفعل كله والأمر كله لله وحده، قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: 26].

وقد يثار السؤال لماذا عهد الله إلى الملائكة بهذه المهمات الجسيمة المتعددة مع أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟ للإجابة على ذلك يمكن القول: بأن ذلك ليس إلا مظهراً لسلطان الله وعظيم ملكه، وإظهاراً لقدرته المعنوية في مظهر حسي يتلائم مع تصور الإنسان والمألوف في حياته[1].

ومعلوم أن بالبداية أن الله ﷻ وهو الذي خلق هؤلاء الملائكة وأولاهم هذه الطاقة، غير محتاج إلى وساطتهم وسببيتهم في شيء ولكن شاء الله ﷻ أن يظهر سلطانه وقوته لعباده بالشكل

(1) كبرى اليقينيات، للبوطي، ص: 278.

الذي ألفوه في حياتهم، وتعودته أخيلتهم وأفكارهم[1]، كما يظهر هذا الخلق من خلال الأسباب التي ربط الله بينها وبين المسببات.

وقد يقال أيضاً: أليس في الإيمان بهذا الدور الذي تقوم به الملائكة منافاة لما يقوله العلم الحديث من وجود قوانين ونواميس كونية تضبط هذا الوجود؟ وللإجابة على ذلك يمكن القول: بأن هذه القوانين والأسباب هي من مخلوقات الله تعالى، والملائكة موكلة بها أيضاً وموكلة برعايتها كما ترى المخلوقات الأخرى[2].

ومن أعمال الملائكة في الكون:

1 ـ حملة العرش:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: 7].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحَاقَّة: 17].

ودلت الآيات الكريمة: على أن الملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه وآخرون يكونون حوله وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية، إما ثمانية أملاك وإما ثمانية أصناف وصفوف[3].

---

(1) كبرى اليقينيات، للبوطي، ص: 292.

(2) الإيمان، محمد نعيم ياسين، ص: 46.

(3) في الملائكة المقربين، ص: 144.

2 ـ الموكلون بالسحاب والقطر:

قال تعالى: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصافات: 1 ـ 3].

ورد في تفسير هذه الآيات الكريمات أن هذه الصفات من صفات الملائكة عليهم السلام وأن الله اقتسم بالملائكة الصافات بين يديه ﷻ وبالملائكة التي تزجر السحاب وتسوقه إلى حيث أمرها الله وبالملائكة التي تنزل بالقرآن والكتب من عند الله سبحانه[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «**ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله**»، فقالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: «**زجره السحاب إذا زجره حيث ينتهي إلى حيث أمر**». قالوا: صدقت الحديث[2].

وهذا الحديث إنما يفيد أن للسحاب ملائكة يسوقونه وأن هذا الصوت الذي يسمع قد يكون صوت هذه الملائكة وقد يكون اصطكاك السحاب، ولا يدل والله أعلم على تسمية الملك الموكل بالسحاب باسم الرعد وقد صح أن الملك الموكل بالقطر هو ميكائيل عليه السلام ومعه أعوان يعملون ما يأمرهم به[3].

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 2).

(2) سنن الترمذي (4/ 257) رقم 5121، السلسلة للألباني رقم 1872.

(3) في الملائكة المقربين، ص: 54.

قال ابن كثير: ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل وعلا[1]، وحديث ميكائيل وأنه موكل بالسحاب أقوى من حديث ابن عباس في تسمية الموكل بالسحاب رعداً[2]، فقد احتج ابن كثير على إثبات عمل ميكائيل عليه السلام بحديث ابن عباس. رضي الله عنهما. وفيه: أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام على أي شيء ميكائيل فقال: على النبات والقطر[3]، فميكائيل عليه السلام هو الموكل بذلك والله أعلم ومعه أعوان من الملائكة ينفذون أمره[4].

ومن أعجب ما يروى في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة[5] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا**

(1) البداية والنهاية (1/ 41).

(2) في الملائكة المقربين، ص: 54.

(3) رواه ابن أبي شيبة، ك العرش رقم 75 إسناده صحيح بشواهد.

(4) مسلم (4/ 2288) رقم 2984.

(5) في الملائكة المقربين، ص: 154، 155.

وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه»[1].

وفي هذا الحديث إثبات الملائكة الموكلين بالسحاب، وأنهم يسوقونه ويأمرونه ويكلمونه وربما كان الكلام الذي سمعه الرجل كلام الملائكة بعضهم لبعض، ثم ساقه الملك الموكل بهذه السحابة وفيه فضل الصدقة عن المساكين والمحتاجين حيث عوض الله المتصدق وأرسل ملائكته يسوقون السحاب ليسقي أرضه جزاءً على صدقته وإحسانه إلى الفقير وإلى أهل بيته[2].

3 . ملك الجبال:

تقدم الحديث في صفات الملائكة أن الله ﷻ أرسل ملك الجبال ليطبق على أهل مكة الأخشبين إذا أمره النبي ﷺ بذلك[3]، وفي هذا دليل على أن للجبال ملائكة موكلون بها، وفيه كذلك دليل على ضخامة خلق هؤلاء الملائكة الموكلين بالجبال، فكون ملك واحد يستطيع أن يطبق جبلين على أهل مكة يعني: أنه من الضخامة والقوة بحيث أصبح إطباق الجبلين عنده أمر هين ينفذه فور موافقة النبي ﷺ على ذلك، ومن فضل الله على هذه الأمة أن بعث لها نبينا ﷺ وهو الرحمة المهداة[4]، وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128].

---

(1) في الملائكة المقربين، ص: 154.

(2) المصدر نفسه، ص: 154. 155.

(3) البخاري رقم 3059، مسلم رقم 1795.

(4) في الملائكة المقربين، ص: 155.

4 . الملائكة الحافة بمكة والمدينة:

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق**»[1]، وفي حديث تميم الداري ﷺ وهو حديث الجساسة المشهورة، قال: **إنني أنا المسيح وأنا أوشك أن يأذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة . أو احدة . منها استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها**[2].

5. الملائكة الموكلة بالشام:

الشام بلاد مباركة كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: 1].

فإلى مسجدها الأقصى أسرى بالنبي ﷺ فاجتمع بالأنبياء عليهم السلام وأمهم، ومنه عرج مع جبريل إلى السماء، وقصة الإسراء والمعراج معروفة والقصد التنبيه على فضل المكان، ومما يدل على فضلها أن مسجدها أحد المساجد الثلاثة التي تشد لها الرحال، كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول

(1) البخاري رقم 1782.

(2) رواه مسلم (4/ 2261) رقم 2942.

الله ﷻ يقول: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**»[1].

ومما يدل على فضل الشام أن الملائكة باسطة أجنحتها عليه كما جاء ذلك في حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى للشام إن ملائكة الرحمٰن باسطة أجنحتها عليه**»[2].

ثالثاً: قيامهم بأعمال أخرى وبعض الفوائد:

قد لخص ابن القيم أهم أعمال الملائكة فقال: فإنهم موكلون بتخليقه "أي الإنسان" ونقله من طور إلى طور، وتطويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله، وأجله وسعادته، وشقاوته، وملازمته في جميع أحواله وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته، ومعلموه وناصحوه، والدّاعون إليه، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا

---

(1) مسلم (2/ 976) رقم 827.

(2) السلسلة الصحيحة (2/ 5) أطال الألباني البحث فيه وخلص لتصحيحه.

ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يُذكرونه إذا نسي ويُنشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل عنده بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر[1].

ومن وظائف الملائكة القيام بأعمال أخرى يأمرهم الله بها، ورد ذكرها في القرآن الكريم دون بيان تفصيلي عنها:

كقوله تعالى: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصافات: 1 . 3].

وقال تعالى: ﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الذاريات: 1 . 4].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾[المرسلات: 1 . 5][2].

ومن الأعمال الأخرى:

1 ـ إهلاك الأمم المكذبة:

ومن المهام المنوطة بالملائكة، إنزالهم للعذاب الشديد، وإهلاك الأمم المكذبة للرسل بأمر الله تعالى، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣﴾ [يونس: 13].

---

(1) إغاثة اللهفان (2/ 125 ـ 126).

(2) على قول أنها من الملائكة.

. وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: 73].

. وقال تعالى: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: 90].

روى ابن جرير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**لما قال فرعون لا إله إلا الله، جعل جبريل يحشو في فيه الطين والتراب**»، وفي رواية أخرى قال: «**لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، قال جبريل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة**»[1].

وفي إهلاك قوم لوط يقول جل ذكره: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ

(1) سنن الترمذي رقم 3107 حديث حسن غريب صحيح وهذا الحديث بطريقة رواته ثقات ليس فيهم من هو سيئ الحفظ.

بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: 77 . 83][1].

2 ـ تبليغ النبي ﷺ بسلام أمته:

. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 56].

. وقال ﷺ: **«من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً»**[2]، وقد حذر ﷺ من ترك الصلاة عليه فقال: **«إن البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّ»**[3].

. ومن شرف النبي ﷺ فقد وكّل الله ﷻ بالصلاة عليه ملائكة سياحة يطوفون في الأرض يبلغون النبي ﷺ صلاة أمته عليه كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»**[4].

. وقال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[5].

إن الله ﷻ قد وكل بالصلاة على النبي ﷺ ملائكة يبلغونه إياه

---

(1) أصول الاعتقاد في سورة يونس، قذلة القحطاني، ص: 199.
(2) مسلم (1/ 306) رقم 70 باب الصلاة على النبي.
(3) سنن الترمذي (5/ 211) رقم 3614 حسن غريب صحيح.
(4) صحيح الجامع (2 / 234)، جلاء الإفهام لابن القيم، ص: 24.
(5) صحيح الجامع (6 / 132)، رقم 7103.

في البرزخ، فينبغي على المسلم أن يحرص على الصلاة على النبي ﷺ بالصيغ الشرعية الصحيحة ويعلم أنها معروضة على النبي ﷺ[1].

3 ـ حملهم التابوت لبني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248].

يخبر تعالى أنه قد ملّك طالوت على بني إسرائيل لكنهم لم يرضوا ملكه كعادتهم في معصية أوامر الله والتكبر عليها بحجة أنه لم يكن من بيت الملك، وليس من أهل الأموال، وقد جعل الله من الآيات على صدق هذا الملك أن يأتيهم التابوت ويقال فيه علم بني إسرائيل، جاءت الملائكة تحمله بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون[2]، وكان هذا تطميناً لهم وتثبيتاً كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى، فيتابعونه ويطيعونه[3].

4 ـ نزول عيسى عليه السلام بصحبة ملكين:

إن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من آيات الساعة العظمى التي يؤمن بها المسلمون، وقد دل ذلك الكتاب والسنة:

---

(1) الملائكة المقربين، ص: 199.

(2) تفسير ابن كثير (1 / 300. 303).

(3) عالم الملائكة الأبرار، للأشقر، ص: 66.

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: 157 . 159]، فهذه الآيات، كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: 55] فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله، وقبل موته، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة[1].

وعيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان واضعاً يده على ملكين كريمين كما جاء ذلك في الحديث الطويل الذي رواه النواس بن سمعان، وفيه: فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[2]، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين[3].

5 . تظليل الملائكة على الشهيد:

ومنها إظلالهم لجنازة الصحابي الجليل عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه قال البخاري رحمه الله: باب ظل الملائكة على الشهيد.

---

(1) أشراط الساعة ليوسف الوابل، ص: 349.

(2) مهرودتين: ثوبين مصبوغين بورس.

(3) مسلم على شرح النووي (18 / 63).

وساق بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي وسمعت صوت نائحة فقيل ابنة عمرو. أو أخت عمرو. فقال: «**لم تبك أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظلّله بأجنحتها**»[1].

6. شفاعتهم لأهل الإيمان:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **فيقول الله ﷻ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين**»[2].

7. نزولهم عند تلاوة القرآن:

ليستمعوا له كما حصل مع الصحابي الجليل أسيد بن حضير ﷺ[3].

8. حضورهم مجالس الذكر:

وحفهم الذاكرين الله تعالى، قال ﷺ: «**لا يقعدن قوم يذكرون الله ﷻ، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**»[4].

9. شهود الملائكة لجنازة الصالحين:

استشهد سعد بن معاذ الأنصاري في غزوة الخندق بعدما

---

(1) البخاري رقم 1244.
(2) مسلم (1 / 167)، رقم 183.
(3) البخاري رقم 5018.
(4) مسلم رقم 2700.

انفجر جرحه ونقله قومه فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ فقال: **«انطلقوا»** فخرج معه الصحابة، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالهم وسقطت أرديتهم، فشكا إليه أصحابه ذلك، فقال النبي ﷺ: **«إني أخاف أن تسبقني الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة»** ، فانتهى إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكي وتقول:

ويـــل أم ســـعـــد ســـعـــداً حـــــزامـــــة وَجَـــــدَا

فقال: **«كل نائحة تكذب إلا أم سعد»** ، ثم خرج به قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله، ميتاً أخف علينا منه، قال: **«وما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا ولم يهبطوا قطّ قبل يومهم، قد حملوه معكم»**[1].

وقد جاء في النسائي عن ابن عمر ﷺ عدد الملائكة الذين شاركوا في تشييع جنازة سعد فقد قال ﷺ: **«هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمة ثم أفرج عنه»**[2]، يعني: سعداً.

10 . أسماء الملائكة وحكم التسمي بها:

أخبرنا . تبارك وتعالى . عن بعض أسماء ملائكته في قوله تـعـالـى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:98]. وعرض ابن القيم لحكم تسمي

(1) سيرة ابن هشام (3 / 264)، الألباني في الصحيح رقم 1158.
(2) سير أعلام النبلاء (1 / 95)، إسناده صحيح.

بني آدم بأسماء الملائكة فقال: يكره تسمية الآدميين بأسماء الملائكة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قال أشهب: سئل مالك عن التسمي بأسماء الملائكة وهو قول الحارث بن مسكين قال: وكره مالك التسمِّي بجبريل وياسين، وأباح ذلك غيره، قال عبد الرزاق في الجامع عن معمر قال: قلت لحمّاد بن أبي سليمان: كيف تقول في رجل تسمَّى بجبريل وميكائيل؟ فقال: لا بأس به[1].

11 . عداوة اليهود لبعض الملائكة:

تحدث ابن القيم عن عداوة اليهود لجبريل عليه السلام، فقال: وقالت اليهود للنبي ﷺ: من صاحبك الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر؟ قال: «**هو جبريل**» قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 97-98][2].

(1) واحة الإيمان عند ابن القيم (2) للأشقر، ص: 68.

(2) المصدر نفسه، ص: 82.